﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

[الأنفال: ٢٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

الاستجابة لله تعالى ورسوله ﷺ هي أساس الدين، وهي الترجمة الحقيقية لمعنى الإسلام لله رب العالمين.

والحقيقة أن سبب جميع ما نحن فيه من الآفات والبلايا هو الإعراض عن الله تعالى، وعن رسوله ﷺ، وعدم الاستجابة لنداءاتهما المتكررة لنا بالإقبال على الله تعالى، هذا الإقبال الذي فيه سعادة الإنسان، وفيه حياته، وبدونه يكون في عداد الموتى.

لذا أحببت أن أسلط الضوء في هذه الوريقات على حاجتنا للاستجابة لله تعالى وللرسول ﷺ، وبيان معنى هذه الاستجابة، وفوائدها بالنسبة لنا، وكيفية تحقيقها.

والله من وراء القصد أسأله تعالى أن يجعلنا ممن يستجيبون لله تعالى وللرسول ﷺ.

* معنى الاستجابة لله تعالى وللرسول ﷺ:

الاستجابة: هي المسارعة بالإجابة لنداء الله تعالى، ونداء رسوله ﷺ إذا دعانا لما فيه حياتنا الحقيقية، وسعادتنا الدنيوية والأخروية.

قال تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1].

وقال ابن مسعود -رضي الله عنه- إذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فارعها سمعك فإنها خير تؤمر به، أو شر تُنهى عنه.

والاستجابة لله تعالى بهذا المعنى هي تحقيق لمعنى الإسلام الحقيقي، فالإسلام في أدق معانيه هو الانقياد والإستسلام لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ. والاستجابة معناها الإقبال على الله تعالى بسماع أوامره، والرضا بها، والانقياد لها، والمسارعة إلى امتثالها.

وهي بهذا تشمل الاستجابة لله تعالى في دعوة عباده إلى عبادته وتوحيده، وتشمل الاستجابة لله تعالى في جميع أوامره من العبادات كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك، والاستجابة لله تعالى في معاملة الخلق بالعدل والإحسان كما أمر الله تعالى في كتابه، وأمر به رسول الله ﷺ في سنته.

وهكذا فالاستجابة لله تعالى لا تتجزأ، فلابد أن تكون استجابة شاملة للدين كله عبادة ومعاملة وخلقًا وسلوكًا في كل شيء.

فلا يليق بالمسلم أن يستجيب لله تعالى في الصلاة، ثم يعرض عن أمره في التعامل في ماله بما شرع الله، فلا يرابي ولا يغش ولا يرتشي ولا يأكل أموال الناس بالباطل..إلخ.

ولا يليق بالمسلمة أن تستجيب لله تعالى في الصلاة ثم تعرض عن أمره في الحجاب مثلاً فتخرج من بيتها سافرة عارية متبرجة متعطرة، أو تلبس ما تشاء من الثياب وتقول: إني محتشمة هكذا، أو ما كشفته من جسدي لا يضر، أو ليس عيبًا، أو إن الناس كلهم كذلك..إلخ. فالمؤمنة التي تستجيب لله تعالى حقًا ليس لها أن تعترض على أمر الله تعالى أو أمر رسوله ﷺ أو أن تختار بينه وبين ما عليه الناس أو

---

(١) الأنفال: ٢٤.

المجتمع أو العادات والتقاليد ونحوها.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا﴾[1].

فما دام المؤمن يؤمن بالكتاب كله، فلابد أن يستجيب لجميع ما في الكتاب كله، ولذا فإن الله تعالى يوبخ الذين يقبلون بعض أوامر الله تعالى، ويعرضون عن بعضها الآخر فيقول تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2].

ويقول عنهم أيضًا: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا ۞ أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾[3].

* فضل الاستجابة لله تعالى وللرسول ﷺ:

الاستجابة لله تعالى تتحقق بها حياة الإنسان وكرامته وسعادته، فالحياة الحقيقية للإنسان لا تتحقق إلا باستجابته لله تعالى والتزامه بمنهجه، فهذه الاستجابة هي التي تحقق له آدميته وإنسانيته، ويرتفع بها عن حياة الشهوات البهيمية إلى حياة سامية تدرك أن للحياة أهدافًا وغايات أسمى من التلذذ بالطعام والشراب والشهوات الحسية.

إنها حياة لها غاية نبيلة هي تحقيق كرامة الإنسان بتحريره من الرقِّ والعبودية لجميع الكائنات المخلوقة، فالإنسان لا يليق به أن يكون أسيرًا لمخلوق مملوك مثله يعبده ويخضع له ويأتمر بأمره وينتهي بنهيه، وإنما تتحقق كرامته وحريته وإنسانيته

---

(١) الأحزاب: ٣٦.

(٢) البقرة: ٨٥.

(٣) النساء: ١٥٠-١٥١.

حينما يشعر أنه ليس لأحد فضل عليه ولا سيادة عليه ولا أمر ولا نهي ـ سوى ربه الذي خلقه فسواه فعدَّلَه في أي صورة ما شاء ركبه، فهو مالكه وخالقه ورازقه ومدبر أمره كله، وهو المتفرد وحده بالخلق والرزق والملك والتدبير لذا فلا يستحق أحد العبادة غيره سبحانه.

فالاستجابة لله تعالى إذًا تحقق الحياة الكريمة للإنسان وتحرره من العبودية لمخلوق مثله.

وهي بهذا تحقق للإنسان سعادته وخيره في الدنيا والآخرة.

والاستجابة لله تعالى هي التي تخلص الإنسان من الحيرة والتردد فهو لا يدري من يتبعه، ولا يجد من يثق به، ولكنه يثق بالله تعالى ويؤمن به ويتوكل عليه، ويعلم أنه لا يريد منه إلا ما فيه خيره وسعادته ونجاته في الدنيا والآخرة، لذا فهو يُقدم على أمره بلا حيرة ولا تردد.

*كيف تتحقق الاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ؟

الاستجابة لله تعالى وللرسول ﷺ لها شروط لابد من توافرها لكي تتحقق للعبد:

الشرط الأول: طرد الغفلة عنه قبل أن يستيقظ على أهوال الآخرة:

وحينئذ يقال له: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1].

فهذا العالم الذي نعيشه هو حقًّا عالم الغفلة كما هي تسمية الله له، ولا أظن أنه قد مرت بالناس غفلة بعد مبعث النبي ﷺ كهذه الغفلة التي يعيشها الناس في هذا الزمان، ولا أجد ناسًا أشبه غفلة بأهل هذا الزمان كأهل الجاهلية الأولى.[2]

---

(١) ق: ١٩.

(٢) بل إن أهل هذا الزمان قد عتوا وطغوا وأفسدوا أكثر من أهل الجاهلية الأولى، فالله تعالى قد نهى عن =

فالناس -إلا من رحم الله- أصبحوا يعيشون في غفلة عما خلقوا له، وعما هم صائرون إليه.

لقد غفلوا عن أنهم خلقوا لعبادة ربهم، لا لعبادة أهوائهم وأمزجتهم، والله تعالى يبين لهم ذلك فيقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] لقد غفلوا عن أنهم خلقوا للعمل للآخرة، لا من أجل العمل للدنيا، وغفلوا كذلك عن أنهم سُرعان ما يتركون منازلهم في هذه الدنيا، وينتقلون منها إلى منازل أخرى في جنة الخلد أو في نار الجحيم، والرسول ﷺ يوضح هذه الحقيقة ويصورها أحسن صورة فيقول: "ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها"[2].

لقد غفل الناس عن كثير من الحقائق الثابتة في هذه الحياة، فنسوها في عالم الغفلة وفي ضجيج الحياة، ولكنهم مهما غفلوا عن هذه الحقائق فإنها ستظل -كذلك- حقائق ثابتة، رضوا بذلك أم أبوا، فإنهم مهما غفلوا عنها فلابد أن تفجأهم تلك الحقائق وتفجعهم يومًا ما.

والدليل على غفلة الناس أنه ما من حقيقة في هذا الكون أوضح ولا أبين من حقيقة الموت، ورغم ذلك فما غفل الناس عن شيء كما غفلوا عن تلك الحقيقة!

وصدق قول القائل: "ما رأيت حقًّا أشبه بباطل من الموت"، فالموت حق لا شك فيه، ولكن الناس أمامه كأنه باطل لا شك فيه.

ومهما حاد الإنسان عن هذه الحقيقة، ومهما جزع من ذكرها، ونفر من تذكر

التشبه بأهل الجاهلية الأولى فقال لنساء هذه الأمة: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣] ومعلوم لدى الجميع أن تبرج النساء اليوم قد فاق كل الجاهليات منذ أن خلق الله الأرض إلى أن يرثها.

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (١/ ٣٩١) والترمذي (٢٤٩٦) وابن ماجه(٤١٠٩) وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة"(٤٣٩).

هولها فإنها آتية لا ريب فيها، كما أن الليل يعقبه النهار.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾(١).

*علاج هذه الغفلة:

إن علاج هذه الغفلة في القرآن -لا شك في ذلك- فالله تعالى يقول: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ الله وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون﴾(٢).

فمن لم ينفعه القرآن ويؤثر فيه وينال من قلبه فلا خير فيه، ولا رجاء في هدايته، فالله تعالى يقول: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾(٣).

الشرط الثاني: التفكر والتذكر:

من الشروط اللازمة للاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ بعد تحقق الشرط السابق وهو طرد الغفلة ـ انشغال العبد بالتفكر والتذكر، فيتفكر في خلق الله تعالى له وقدرته عليه وعلى بعثه ومحاسبته ومجازاته على عمله إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

ويتذكر نعم الله تعالى عليه، فيحصل له من ذلك كله يقين بحاجته إلى الله تعالى فيقبل عليه ويستجيب لندائه، والله تعالى ينادي عباده: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٤).

---

(١) ق: ١٩

(٢) الحشر: ٢١.

(٣) المرسلات: ٥٠.

(٤) الأنفال: ٢٤.

نحن في غفلة من هذا كله، وفي إعراض عن الآيات والنذر التي ينذرنا الله تعالى بها في كتابه وسنة رسوله ﷺ للاستعداد ليوم لقائه سبحانه، فهل من مستجيب لنداءاته سبحانه؟

هل من مشمر للعمل لذلك اليوم، وذلك اللقاء؟

طرد الغفلة، والتفكر والتذكر والتيقظ لأمر الله تعالى هي مفتاح الاستجابة لله تعالى. إذ لا استجابة لغافل ولا نائم، فلا يستجيب إلا المنتبه اليقظان فاليقظة اليقظة حتى نستجيب لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ.

ولا شيء يوقظ القلوب من غفلتها مثل تذكر الآخرة، فكن منها دائمًا على ذكر، عسى الله تعالى أن يلين قلوبنا لطاعته.

* المسارعة إلى الاستجابة لله تعالى قبل فوات الأوان:

إخوتي في الله إن من أهم أسباب تعجيل الاستجابة لله وللرسول ﷺ الخوف من فوات الأمر وعدم إدراكه وذلك لعدة أمور منها:

١- تحول القلوب.

٢- الخوف من سوء الخاتمة.

٣- مسابقة الموت.

أولاً: تحول القلوب:

يقول الله تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1].

فالله تعالى يحذرنا من عدم المسارعة بالاستجابة لله وللرسول ﷺ؛ وذلك لأن

(١) الأنفال: ٢٤.

المرء قد يسوّف الاستجابة إلى حينٍ، ظنًّا منه أن يقدر عليها وقتما يريد، ولكن الله تعالى يخبرنا أنه سبحانه قد يحول بين المرء وقلبه، فقلبك بيد الله تعالى ليس بيدك، فالقلوب بين إصبعين من أصابع الله تعالى، إن شاء أقامها وثبتها، وإن شاء أزاغها وأضلها وأهلكها، ولا يظلم ربك أحدًا، فالقلب الذي يستجيب لله تعالى ويهتدي بهديه يزيده الله تعالى هدى ويثبته في طريق الإيمان والهداية، والقلب الذي يعرض ويتحول عن الهدى إلى الضلال يمد له الرحمن في الضلال مدًّا.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ۞ وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾[1].

فالله تعالى يعرض الإيمان والهدى على القلوب، فمن استجاب زاده الله إيمانًا وتثبيتًا، ومن أعرض لم يأمن أن يقلب الله تعالى قلبه ويحول بينه وبين الهدى، فلا يقدر عليه بعد ذلك أبدًا إلا أن يشاء الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[2].

ثانيًا: الخوف من سوء الخاتمة:

على العبد أن يسارع بالاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ قبل أن يفاجئه الموت وهو على حال لا ترضي الله تعالى، فَيَلْقَى الله تعالى متلبسًا بذنبه وجريمته، فبأي وجه يلقى الله تعالى وهو معرض عن أمره، مقبل على معصيته، مدبر عن طاعته؟

---

(١) مريم: ٧٥، ٧٦.

(٢) الأنعام: ١١٠.

ثالثًا: مسابقة الموت:

اعلم أخي المسلم! أختي المسلمة!

أن الموت لا ينتظر أحدًا، فالعبد إذا وافته منيته وجاءت ساعته، فلا يُؤخَّر عن لقاء ربه شيئًا :﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2].

فسارع أخي إلى الاستجابة لله تعالى قبل مفاجأة الموت، وقبل فوات الأوان.

* مسابقة الرحمن إلى نعيم الجنان:

أخي المسلم! أختي المسلمة!

هذا هو رب العزة جل وعلا يعلن عن مسابقة جائزتها جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

فهل من مشمر لها؟ وهل من عامل لها؟ وهل من مكتتب في هذه المسابقة؟

❁❁❁

(١) الأعراف: ٣٤.

(٢) المؤمنون: ٩٩، ١٠٠.